الممارسة الأنثروبولوجية بين الانتماء والنظرة عن بعد

– نموذج مغاربي–

د . مباركة بلحسن - جامعة وهران2 - الجزائر

الملخص :

كانت الممارسة الأنثروبولوجية تعاني، وإلى فترة غير بعيدة، نوعا من النفور بحيث كان ينظر إلى هذا التخصص على أنه علم استعماري. ولم تكن تدرس هذه المادة الاجتماعية، في الجامعات المغاربية، إلا كخيار شبه فرعي في علم الاجتماع. لذلك نجد أن معظم من برز من الباحثين الانثروبولوجيين قد جاء أساسا من الفلسفة أو علم الاجتماع .

Abstract :

by choosing some examples anthropologists maghreb 's who have emerged in different anthropological domain :historical, social and religion by focusing on principles characteristics of this practice as: cultural specify, belonging searcher and his intersting subjects and the relationship between his original communites and belonging field and knowledge spaces sociology and anthropology.

مقدمة:

تعتبر الانثروبولوجيا علم حديث إذا ما قارناه مع العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى، فهو علم الاختلاف أو كما يسميه البعض علم الأغراب (الأجانب)[1]، لذلك تعتبر المقارنة من بين أهم مبادئه، مما يجعل الباحث الأنثروبولوجي مجبرا على أن يتمتع بقدرات ذهنية معتبرة وهذا ما أكده كلود ليفي ستروس، في مقابلة مع بول اتنوفن وأندريه بوغييه، نشرت في "النوفل اوبسرفاتور" في العددين (816، 1980) و(817، 1980) : "على الأنثروبولوجيين أن يتمتعوا بمقدرة ذهنية رياضية تستوعب عمل الباحث المقارن الذي لا يكتفي بتجربته الخاصة، المقتصرة على بعض المجتمعات، بل يتناول أيضا آلاف الكتب والمقالات المتعلقة بمجتمعات ليس لديه معرفة مباشرة بها" (ليتش إ. : 204).

لقد ارتبطت الانثروبولوجية، إلى زمن غير بعيد، بعلم الاجتماع الذي كان تأثيره كبيرا عليها منهجيا ومعرفيا،[2] حتى أنها كانت تدرس في الجامعات بما فيها الجامعات العربية والمغاربية خاصة على أساس فرع من فروع علم الاجتماع، حتى أن البعض كان يعتبرها علم الاجتماع المقارن. لذلك، فمعظم من برزوا في حقل الانثروبولوجية قد جاؤوا من تخصصات أخرى وحتى أن البعض منهم يعتبره انتقال بالصدفة.

يعترف مؤسس الأنثروبولوجية البنيوية كلود ليفي ستروس في المقابلة التي أشرنا إليها سابقا قائلا: "إن الأسباب التي دفعتني لأن أصبح أنثروبولوجيا لم تكن "نظيفة" فالآفاق التي تتيحها لي شهادة التبريز في الفلسفة لم تكن لتستهويني مطلقا، ولذا فقد سعيت وراء وسيلة للتخلص منها(...)والحقيقة أنه كان معروفا في تلك الأيام لدى من نالوا شهادة التبريز أن الأنثروبولوجيا هي بمثابة المخرج...كما أنني كنت أحب المخيمات والسير في الجبال والهواء الطلق حبا جما" (ليتش إ. : 212).

كانت الممارسة الأنثروبولوجية في البلدان المغاربية تعاني، وإلى فترة غير بعيدة، نوعا من النفور بحيث كان ينظر إلى هذا التخصص على أنه علم استعماري. ولم تكن تدرس هذه المادة الاجتماعية في الجامعات المغاربية إلا كخيار شبه فرعي في علم الاجتماع. لذلك نجد أن معظم من برز من الباحثين الانثروبولوجيين قد جاء أساسا من الفلسفة أو علم الإجتماع.

تبنت الجامعة الجزائرية بعد الاستقلال، حسب الباحث الانثروبولوجي عبد الرحمان موساوي[3] ، علم الاجتماع كعلم يخدم المجتمع بينما لم يتم الاهتمام بالأنثروبولوجية بنفس الحجم لأنها كانت تعتبر علم استعماري يخدم مصالح المستعمر، وهو يرى أن رفض الإثنولوجية الاستعمارية لم يقتصر فقط على مناهجها وطرقها، بل كذلك مواضيعها وكل المسائل المتعلقة بالإثنية، والقبيلة، والمعتقدات الشعبية لأنها تدخل في إطار نظام وزمن ولى. أن هذه الحالة لا تقتصر، على الجامعة الجزائرية، في رأينا، بل تنطبق على جل الجامعات المغاربية. لذلك، نجد أن معظم من اهتموا بمجال الأنثروبولوجيا كانت تخصصاتهم الأصلية، في الواقع، بين علم الإجتماع والفلسفة وعلوم إنسانية الأخرى.

يضيف الباحث عبد الرحمان موساوي، في نفس السياق، أن وزير التعليم العالي محمد الصديق بن يحي في سنة 1970 ألغى تدريس الإثنولوجيا بحجة أنها علم كولونيالي، ويرجع السبب، حسب رأيه، إلى أن الدولة الوطنية "L'Etat national"، في تصورها الأحادي، لم تكن تتقبل فكرة تواجد مجموعات إثنية متعددة. (Moussaoui A.,, 2014)

بالرغم من نفور الجامعات المغاربية من الإثنولوجية الاستعمارية، فإن تأثير هذه الأخيرة على الباحثين المغاربيين، من حيث المناهج والمواضيع، كان واضحا وجليا، حيث أن المواضيع التي اهتم بها أهم الأنثروبولوجيون المغاربيون، مع بداية الاهتمام بهذا التخصص، تدور حول الأنثروبولوجية التاريخية، والدينية، وأنثروبولوجيا ما قبل التاريخ وأنظمة القرابة، هذه المواضيع والتخصصات هي نفسها التي عرفت رواجا اثناء الحقبة الاستعمارية وبعدها، خاصة في الجامعات الفرنسية ومراكز البحوث الأنثروبولوجية.

نحاول أن نركز هنا على الممارسة الأنثروبولوجية بالوسط المغاربي، وكان بودنا أن نختار بعض النماذج من الباحثين الأنثروبولوجيين المغاربيين الذين برزوا في مجال الأنثروبولوجية التاريخية والاجتماعية والدينية، ولكن نظرا لضيق الوقت وصعوبة الإلمام بكل ما أنتجوه من بحوث ومعارف في هذا المجال تم إختيارنا لنموذج واحد، وهذا من خلال التركيز على المميزات الأساسية لهذه الممارسة والتمكن من النظرة عن بعد، والخصوصية الثقافية من حيث انتماء الباحث ومن حيث المواضيع التي يهتم بها، والعلاقة المحتملة بين مجتمعه الأصلي وانتمائه لحقول وفضاءات معرفية من العلوم الاجتماعية والانثروبولوجية خاصة.

مع بداية اهتمامنا بهذا الموضوع، وقفنا على العديد من الأسماء البارزة في هذا المجال مثل فاني كولونا، أحمد بن نعوم، رشيد بليل، حسان رشيق، عبد الرحمان موساوي، نذير معروف، عبد الودود ولد الشيخ، مولود معمري وعبد الله حمودي، لكن لصعوبة البحث في منجزات هذه الأسماء، وحسب الإمكانيات الزمانية والمعرفية، وقع اختيارنا على نموذج مغاربي، هو حالة الباحث الموريتاني الأنثروبولوجي عبد الودود ولد الشيخ. ونبرر سبب اختيارنا له فيما يلي:

أولا: لأنه باحث في مجال الأنثروبولوجية ينتمي إلى الوسط المغاربي من حيث المنشأ ومواضيع البحث، إضافة إلى معايشته خلال مراحل مختلفة من تعليمه الفترة الإستعمارية وفترة إستقلال بلاده.

ثانيا: لأنه خرج من مجتمعه الأصلي، دون أن يمنعه ذلك من التواصل معه، وذلك من خلال اهتمامه به كموضوع بحث والزيارات والتكوين والمشاركات في اللقاءات العلمية والأكاديمية الوطنية وغيرها.

ثالثا: هناك سبب موضوعي ذاتي وهو أن الباحث ينتمي الى نفس الوسط الذي انتمي إليه ونفس اهتماماتي العلمية والبحثية وهذا ما يمكنه تسهيل مهمتي في صياغة هذه الورقة البحثية، ولأن الباحث عبد الودود ولد الشيخ يهتم بالمجتمعات الحسانية (البيضان) وهو نفس الحقل الذي اشتغل عليه منذ فترة.

أ - المسار الشخصي من تمدرس الطفولة وصولا إلى حقل الأنثروبولوجيا :

ولد عبد الودود ولد الشيخ سنة 1948 في الميمون القبلي في ضواحي بوتيلميت، 150 كلم على نواكشوط بموريتانيا، من عائلة بدوية بسيطة، ودرس منذ الطفولة في المدرسة الفرنسية الكولونيالية، وبعد ذلك اتجه للدراسة في جامعة دكار، أين وجد نفسه ملزما بالرجوع إلى بلده موريتانيا بعد الإضراب المشهور للطلبة في دكار، سنة 1968.[4]

في سنة 1969 قرر عبد الودود الهجرة إلى أوروبا ليس بغرض الدراسة لكن بهدف اكتشاف العالم الأخر، لكن حصوله على منحة في فرنسا غير أهدافه أين دخل في المدرسة التحضيرية للتحضير لمسابقة الدخول للمدرسة الوطنية للدراسات العلياENS" " حيث كان التكوين الأساسي في الغالب في الفلسفة، كما تحصل على تكوين عام في الأداب والتاريخ والجغرافيا.

وإلى جانب هذا، حضر ليسانس في الفلسفة في جامعة السوربون، ودراسة معمقة ما بعد الليسانس في نفس التخصص أين حضر مذكرة في الفلسفة. لكن رغبته في أن يتحصل على تكوين له علاقة بالبيئة والمجتمع الذي عاش فيه جعله يتوجه إلى مسار علم الإجتماع

والأنثروبولوجية في جامعة باريس 5، أين أكمل مساره الدراسي إلى غاية الدكتوراه والتأهيل الجامعي.[5]

وبعد تسجيله في الدكتوراه في باريس، رجع الباحث إلى موريتانيا في مارس 1978 أين توظف كباحث في المعهد الموريتاني للبحث العلمي، الذي أصبح أصبح مديرا له سنة 1987. عرف عنه أنه كان ذا مواقف جريئة ومساندا للمجموعات المهمشة في المجتمع الموريتاني.

لكن طموحاته في البحث الحر والمستقل بدأت تتلاشى بعدما رأى أن حرية التعبير والنشاط في موريتانيا بدأت تتقيد، فتوجه إلى التدريس في جامعة نواكشوط لمدة عشر سنوات تقريبا، قبل أن يقرر الهجرة إلى فرنسا سنة 2002 أين استقبل في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الإجتماعية Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales، وبعدها درس في كل من جامعة ستراسبورغ وميتز.

بالرغم من أن الباحث عبد الودود ولد الشيخ يعتقد بأن الصدفة[6] ربما قد دفعته للتوجه للمسار الأنثروبولوجي، من خلال سؤال وجهته له، لكن رغبته في البقاء على إتصال مع مجتمعه الأصلي، وفضوله العلمي في فهم أعمق له هو ما جعله، في اعتقادنا، يختار البحث الأنثروبولوجي، بالإضافة إلى انشغاله بالصعوبات والرهانات التي كانت تهدد الكثير من القطاعات كالتعليم، السياسة والنظام الاجتماعي القائم على القبلية في موريتانيا.

لقد جمع الباحث عبد الودود ولد الشيخ بين الفلسفة وعلم الإجتماع والأنثروبولوجية، مع العلم أن خروجه من مجتمعه الأصلي لم يمنعه من البقاء في اتصال دائم به وأن يلعب دورا مهما في الدفاع عن الفئات المهمشة في موريتانيا. والمعلوم أن معظم الدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها هذا الباحث كانت حول موريتانيا بشكل خاص وافريقيا بشكل عام، بجانب اشتغاله مع الأنثروبولوجي الفرنسي الشهير بيار بونت "Pierre Bonte".

والجدير بالتسجيل أن عبد الودود ولد الشيخ برز بصفة قوية نهاية الثمانينيات، باختصاصه في الأنثروبولوجية التاريخية والاجتماعية حيث اهتم بثلاثية العلاقة بين البداوة والسلطة والإسلام، بالإضافة إلى اهتمامه بالعلاقة بين القبيلة والعرق في سياق جنوب

صحراء إفريقيا ، وكأن دراساته، في معظمها بمثابة رد فعل عن أوضاع إجتماعية تقليدية مبنية على التمايز والطبقية.

ب - البحث الأنثروبولوجي والنظرة عن بعد " redard éloigné" :

عرفت الأنثروبولوجيا الكلاسيكية بدراسة ما يسمى بالمجتمعات البدائية أو شبه البدائية، وهي بذلك العلم الذي يدرس الآخر أو الغريب، وهذا ما قد يمنح الباحث الأنثروبولوجي القدرة على النظرة عن بعد، أي أن يكون، قدر الإمكان، موضوعيا، مما يجعله قادرا على رؤية الآخر كموضوع بحث يعطيه مجالا علميا للمقارنة بمجتمعه الأصلي.

وورد عن كريستوف فولف، في كتابه "علم الأناسة : التاريخ والثقافة والفلسفة" :

"يمكن للمرء أن يعيش الغيرية كفرصة جديدة تجمع التجارب التي توسع رؤية العالم الحاصلة إلى حد الآن، ثم ينفتح المرء على هذه التجارب ويستطيع أن يعرف الكيفية التي يرى بها العالم المنتسبين إلى ثقافات ومجتمعات أجنبية وأن يتعامل مع أناس آخرين وفي هذه الحالة فهو يعيش غيرية مجتمعات أخرى ويعلم الفرق بينها وبين ثقافته الذاتية(..).وعندما يلتقي المنتسبون إلى ثقافات مختلفة تحصل عمليات معقدة للتجاذب والتدافع والاضطهاد والإستيعاب المتبادلين، وتؤدي في ذلك السلطة وعمليات المحاكاة دورا مهما" (فولف ك. 145).

تعتبر المجتمعات المغاربية أحد أهم الحقول الخصبة التي اهتمت بها الأنثروبولوجية الإستعمارية، ومن بين أهم التخصصات التي عرفت اهتماما في هذا المجال هي الأنثروبولوجية التاريخية، الدينية وما قبل التاريخ ونظام القرابة.

لذلك ما يهمنا في هذه الورقة البحثية هو الوقوف على أهم سمات ومميزات الممارسة الأنثروبولوجية المغاربية وقدرة الباحث الأنثروبولوجي على التمكن من النظرة عن بعد، خاصة بعد تحول الوسط الذي ينتمي إليه من حقل خضع للدراسات الأنثروبولوجية الإستعمارية إلى حقل موضوع بحث لباحثين ينتمون إلى هذه المجتمعات المستعمرة سابقا.

وبالنسبة للباحث عبد الودود ولد الشيخ[7] ، فإن أي بحث علمي يتطلب إتخاذ موقف "تباعد" من الموضوع الذي يدرسه، مع العلم أنه يصبح أصعب بالنسبة للبحث الأنثروبولوجي، رغم أن الأنثروبولوجيون كانوا يتصورون أنهم تخلصوا من هذه الصعوبة بدراسة مجتمعات بعيدة جغرافيا وثقافيا.

والنظرة عن بعد، في هذا التصور، تسهل الحصول على موقف موضوعي، أو بالأحرى أكثر "تموضع" للمجتمعات الأخرى. وفي حالة هذا الباحث يعتبر أن الخروج إلى مجتمع آخر، ثم الرجوع إلى المجتمع الأصلي تجعلك أكثر انتباها، حيث النظرة الخاصة بك لمجتمعك مرتبطة بثقافتك الخاصة ولكن خروجك منه يجعل النظرة التي كانت تظهر على أنها طبيعية تصبح "نسبية"، وهو ما يشجع على المقاربة المقارنة والشكل الوحيد للتجريب. إذا فإن عبد الودود يرى أن الخروج عن الوطن الأصلي «dépaysement» بدون شك هو الوسيلة التي تجعل الباحث قادرا على تحقيق التباعد للمجتمع الذي يكون فيه بشكل دائم أو مؤقت.

إن خروج الأستاذ عبد الودود ولد الشيخ من مجتمعه الأصلي منحه القدرة، في نظر الكثير من زملائه، على فهم مميزات المجتمع الموريتاني ونقده بشكل أكثر موضوعية وعلمية، بالإضافة إلى اندماجه في أكثر من وسط سوسيوثقافي وتكوينه العلمي والمعرفي المتنوع الذي جعله، في آن واحد، متمكنا في علاقته الحميمية لوسطه الأصلي مع الإبقاء على النظرة عن بعد له.

ولفهم هذا التوجه الخاص والأصيل، علينا أن نرجع إلى المسار الأكثر تميز لحالة أحد أكبر مؤسسي الأنثروبولوجية، كلود ليفي ستراوس، الذي حسب تعبير إمانويل لويي الذي تأسست شخصيته الفكرية القوية والشديدة الأصالة بفضل المزيج بين العالم القديم والجديد، الفلسفة الكلاسيكية الفرنسية والتجربة الإثنولوجية البرازيلية ودمج الأنثروبولوجية الأمريكية وبعض التقاليد الألمانية. (Loyer E. : 11)

ج – حول مستقبل الدراسات الأنثروبولوجية في البلدان المغاربية :

يرى الأنثروبولوجي عبد الودود ولد الشيخ أن الأنثروبولوجيا التي اتهمت على أنها سايرت الفترة الإستعمارية دخلت، مع خروج الإستعمار، في أزمة[8]، لأن هذه المجتمعات لم تبق "بدائية"، أي مجتمعات خارج تأثير المجتمعات الأخرى، مع العلم أن المجتمعات التي قد تكون بقيت من النوع التي يعتبرها البعض على أنها "بدائية"، أذا سلمنا بذلك، هي نفسها ترفض التركيز على الطابع البدائي هذا، أي اعتبارها مجتمعات "باردة" بدون تاريخ أو الدخول له بصفة كافية.

وعلى غرار باحثين آخرين يرى الأستاذ عبد الودود ولد الشيخ أنه يمكن، وبصفة مشروعة، إعتبار أن هذا النوع من المجتمعات، بإمكانها الإستفادة من دراسات تلجأ لمناهج تم ضبطها في الأنثروبولوجيا، كالملاحظة بالمشاركة، والدراسات النوعية لتناول مواضيع مثل القرابة، والطقوس، والمحيط المادي والأعمار، هذه المواضيع المتناولة سابقة في الأنثروبولوجية الكلاسيكية. ومبرر هذا الطرح مرتبط بثقل التقاليد من علاقات القرابة والإقامة، والدين المتجدد، هذا الثقل الذي تضع الكثير من القطاعات في عالم ما قبل رأسمالي على المستوى الرمزي، مما يجعلها تختلف عن العلاقات السائدة في مجتمعات أخرى التي يطغى عليها تقسيم العمل ورأس المال.

يرى عبد الودود هنا في المجتمعات المغاربية حقلا خصبا متميزا للدراسات الأنثروبولوجية، باعتبار أن هذه المجتمعات لازالت تقليلدية وطقوسية، وهذا ما نراه جليا في بحوثه والمجالات والمواضيع التي اشتغل حولها والتي مازال يهتم بها كالقبيلة، والسلطة، والبداوة والإسلام، هذه المواضيع التي كانت المحاور الرئيسية لمؤلفه "القبيلة والدولة في افريقيا".

خلاصة :

لا يمكن فهم وضع الممارسة الأنثروبولوجية في البلدان المغاربية دون وضعها في إطار السياق العام لهذا العلم، بالأخص في البلدان التي أسست لها كحقل علمي. ومن المعلوم

أن الأنثروبولوجية جاءت لفهم ودراسة المجتمعات التي كان يعتقد أنها "بدائية" أو خارج التاريخ، أو كما يراها كريستوف فولف : "البشر الذين كانوا لمدة طويلة يعرفون كمتوحشين وبدائيين ومنتسبين إلى شعوب طبيعية(...)ولتجنب ميل هذه التسميات المحطة من قيمة المسمين بها صارت الأناسة الثقافية تتكلم على الثقافات العتيقة ومجتمعات ما قبل التصنيع والثقافات اللاكتابية أو الشفوية والمجتمعات القبلية والمجتمعات ذات الحجم الصغير أو المجتمعات التي يواجه أهلها بعضهم البعض (يعيشون وجها لوجه لصغر حجم الجماعة)" (فولف ك. : 143، 144). وحسب هذا الباحث، كل هذه التسميات، في معنى واحد وهو أنها مجتمعات قابلة للملاحظة والمعاينة المباشرة، لكن معظمها بدأ يتغير بوتيرة متفاوتة من مجتمع لآخر، وأصبح الانشغال العام يتعلق بالخوف من اندثار هذه المجتمعات قبل جمع مادة إثنولوجية توثق لنمط الحياة فيها والطقوس وخصوصيتها الثقافية.

ظهرت كذلك "الأنثروبولوجية الإستعجالية"، والتي ترجمت إلى العربية بطريقة غير صحيحة بالأنثروبولوجية "الملحة"، للبحث عن السكان الأصليين لتوثيق الثقافة التقليدية والحياة الاجتماعية قبل فوات الأوان، كإدراك مورغان بأن تعقيد سكان أمريكا الأصليين مهدد بالدمار بسبب تدفق الأوروبيين. كذلك كان الانشغال نفسه موجودا لدى فرانز بوا لأنه حاول أن يكون واسع الانتشار في مجال البحث عن الشعوب الأصلية لتوثيق كل ما يخص ثقافتها وخصوصيتها (إيركسون ت.هـ. ، نيلسون ف.س. : 36).

والملاحظ أن الانشغال نفسه حمله كلود ليفي ستراوس عن مستقبل الإثنولوجيا والمجتمعات التي تهتم بها، فهو يرى أنه بالرغم من تسارع الأبحاث إلا أن الكثير من الشعوب لم تدرس جيدا، إلى حد الآن، مع استمرارها في الوجود لفترة قد تطول، لذلك يرى ضرورة مضاعفة الجهود في هذا المجال، مع تأكيده في نفس الوقت ضرورة الالتفات إلى المجتمعات والبيئات المعاصرة القريبة كالأرياف لأهميتها بسبب تطورها غير الكامل ونقص معرفتها مقارنة ببيئات غريبة أخرى. (ليفي ستراوس ك. : 229، 231)

لقد كانت البلدان المغاربية من الحقول الخصبة للأنثروبولوجية الكولونيالية كما ذكرنا سابقا، لكن بعد استقلالها والدخول في مرحلة ما بعد الاستعمار بدأت هذه المجتمعات

تتحول كل حسب خصوصيتها الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية. لذلك لا يمكننا فهم الممارسة الأنثروبولوجية المغاربية خارج هذا السياق. ولقد قدم الباحث عبد الرحمان موساوي سنة 2005، في هذا الصدد، تحليلا وافيا لحالة الممارسة الأنثروبولوجية في الجزائر منذ الفترة الإستعمارية إلى السنوات الأخيرة بعدما فتحت الجامعات ومراكز البحث أبوابها لعلم الأنثروبولوجيا.[9]

لذلك فاهتمامات الباحث الأنثروبولوجي المغاربي تطبعها بعض من الخصوصية لأن انشغاله الأساسي هو فهم وتفسير مجتمعه الذي ينتمي إليه، وهذا ما نراه بصفة جلية في حالة باحثين أنثروبولوجيين غادروا مجتمعاتهم الأصلية، وأصبحوا في ما يمكن تسميته بحالة "ما بين الاثنين" (Etre entre-deux)، أي في تموقع بين مجتمعهم الأصلي والمجتمع الجديد المستقبل قد يمنحهم فرصة النظرة عن بعد ومزاياها.

ويكمن بروز هذه الفئة من الباحثين في تكوينهم المتعدد والمتخصص في نفس الوقت، بسبب ولوجهم إلى مدارس غربية واستيعابهم المدارس الحديثة الكلاسيكية، بالإضافة إلى انتقالهم بين عدة ثقافات، هذا الانتقال الذي يمنحهم آفاق أوسع وأوفر للمقارنة، فخروج الباحث من مجتمعه الأصلي وملاحظة هذا الأخير من الخارج لا يمكنه إلا أن يجعله أكثر انتباها للظواهر الأساسية في مجتمعه ودلالاتها المختلفة والمتباينة، كما يمنحه القدرة على تمييز بعض مظاهر ومعالم التغير التي حدثت أو تحدث في مجتمعه.

وهذا ما يمكن أن نلمسه بالذات في البحوث والكتابات والحوارات التي قام بها الأستاذ عبد الودود ولد الشيخ، حيث يقدم عملية تشريحية حقيقية لموريتانيا بطريقة تمزج بين الاستيعاب الداخلي للمميزات العميقة لمجتمعه والنظرة التباعدية في نفس الوقت، معتمدا في ذلك على تكوينه الأنثروبولوجي التاريخي والاجتماعي والثقافي، من جهة، وعلى معرفته طبيعة المجتمع الموريتاني القبلية[10] والبدوية أساسا، من جهة أخرى، مما يشجع البحث الأنثروبولوجي لأن المجتمع لازال محافظا، إلى حد بعيد، على علاقات القرابة والتفاوت الطبقي وسيطرة فئة معينة على مستويات أساسية من النظام الاجتماعي (تجارة، تعليم، سياسة ومؤسسات دينية).

انطلاقا مما سبق، أود أن أقدم عدد من التساؤلات تشغلني حاليا، وربما قد تشغل زملاء من جيلي، تساؤلات تتعلق بعدد من المسائل التي تبدو لي أساسية أطرحها للنقاش وتبادل وجهات النظر. هذه التساؤلات تتعلق بالمسائل الأساسية التالية :

أولا: دور وتأثير جيل من الباحثين الأنثروبولوجيين المغاربيين المتميزين ممن عايشوا وسايروا نهاية العقد الأخير من الفترة الاستعمارية ومرحلة ما يسمى بنزع الاستعمار ومرحلة الاستقلال الوطني، في تعميم وتعليم الأنثروبولوجية وإجراء الأبحاث المختلفة فيها.

ثانيا: مسألة التواصل ما بين جيل الفئة السابقة وجيل ما بعد الاستقلال، وعوامل تحفيز هذا التواصل والعوائق التي قد وقفت أو تقف أمام التواصل ما بين الأجيال، والتي قد يراها البعض مرتبطة بلغة التكوين والتعليم والممارسة وعوامل أخرى.

ثالثا: مسألة التراكم المعرفي وتوظيف نظريات ومناهج وتقنيات تنسب للأنثروبولوجية خاصة.

رابعا: مسألة ماهية الأنثروبولوجية وحقيقتها وتقاطعها أو تباينها مع العلوم الاجتماعية الأخرى خاصة علم الاجتماع والتاريخ.

المراجع والهوامش:

[1] . "فعلى أساس تغير وضعية العالم بسبب العولمة نما الاهتمام بالإثنولوجيا بوصفها علم الأغراب (الأجانب) إلى درجة رفيعة. وبفضل مساهماتها في مفهوم شامل للثقافة وفي المنهجية الكيفية للبحث الاجتماعي أصبح للإثنولوجيا تأثير كبير على علوم الروح (=العلوم الإنسانية) والاجتماع والثقافة" (فولف ك. : 125).

[2] . "كان دوركهايم من بين كل علماء علم الاجتماع الكلاسيكيين الأكثر أهمية بالنسبة لعلم الانثروبولوجيا، في جانب بسبب اهتمامه نفسه بالعديد من الموضوعات الأنثروبولوجية، وفي جانب آخر بسبب تأثيره المباشر والفوري على الأنثروبولوجيا البريطانية والفرنسية أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد تم الاستشعار بتأثير 'علم الإجتماع الكلاسيكي' فقط بعد سنوات عديدة، ولم يكن على الإطلاق قويا كما كان في أوروبا، وجاء التأثير الرئيس هنا من باستيان ومدرسة أخبار الشعوب، التي جلبت إلى الأنثروبولوجيا الأمريكية من قبل الأب المؤسس (الألماني) فرانز بوا، واتسم علماء الانثروبولوجيا الأمريكان الرواد في بدايات القرن العشرين بالتوجه نحو التاريخ الثقافي واللغات وحتى علم النفس، بدلا من علم الاجتماع" (توماس هايلاند إيركسون ت. هـ.، نيلسون ف. س. : 52).

[3] . « Si la sociologie a été adoptée dés l'indépendance par l'université Algérienne, dans la perspective d'une mise au service du projet de société, l'anthropologie n'a jamais connu le même engouement(…) En condamnant l'ethnologie coloniale, on condamne non seulement ses méthodes mais également ses acquis et ses thèmes de prédilection. Toutes les questions relatives à l'ethnie, à la tribu, aux croyances populaires seront rejetées comme faisant partie d'un ordre et d'un temps révolues » (Abderrahmane Moussaoui, 2005 : 269).

[4] . http://www.kassataya.com/portraits/12808-pr-abdel-wedoud-ould-cheikh-l-humilite-d-un-homme-de-science 26 janvier 2017).

[5] . Echange avec Abdel Weddoud Ould Cheikh, janvier 2017.

[6] . Echange avec Abdel Weddoud Ould Cheikh, janvier 2017.

[7] . Echange avec Abdel Weddoud Ould Cheikh, janvier 2017.

[8] . Echange avec Abdel Weddoud Ould Cheikh, janvier 2017.

[9] . Voir Abderrahmane Moussaoui, 2005, pp. 269-292.

[10] . « Le système tribal, qui régit les rapports entre les individus et les groupes au sien de la société Maure fait apparaitre une distinction statutaire entre les tribus hassan (gurriers), les tribus Zawaya (marabouts) et les tribus tributaires (Lahma ou eznaga) ». (Abdel Wedoud Ould Cheikh, 1991)